

**تخييل الذات في "أرق الروح"  
ليمنى العيد**

**Fictionalization of the self in Araq el rouh by Lebanese  
writer Yumna Al-Eid**

**د. فتحي فارس**

**كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**

**جامعة تونس1**

**تونس**

**fathifares@hotmail.fr**



## تخييل الذات في "أرق الروح"

ليمنى العيد

د. فتحي فارس

"أنا ... تلك الرغبات الصامتة وعلامة  
الاستفهام والأحلام الغارقة في سؤالها. من  
يترجمني؟ من يقرأني؟ من يرفع عن ذاتي  
حجبها؟ من يكشف عن المضطرب في  
دواخلي عن حاجاتي الغارقة في ظلمة  
طفولتي."<sup>1</sup>

### الملخص:

تدرس هذه الورقة البحثية إشكال كتابة الذات في مؤلف "أرق الروح" للكاتبة اللبنانية يمنى العيد من جهة جنس الكتابة وهوية الذات المسرودة. فهي تهتمّ في مستوى أوّل بوجوه تخييل الذات في هذا النصّ والآليات المعتمدة فيه بالتركيز على ثلاث آليات تخييل أساسية هي آلية التلبس التجنيسي وآلية اللعب الضميري وآلية السؤال. وتعدّ الورقة في مستوى ثانٍ بصورة الذات المسرودة ومدى إسهام المادة المرجعية في تشكيلها (القراءة الإحالية)، وملامح الذات ومدى مشاركة المكونات التخيلية في بنائها (القراءة الاحتمالية).

الكلمات المفتاحية: كتابة الذات، سيرة ذاتية، تخييل الذات، يمنى العيد، "أرق الروح"، التخييل الذاتي.

### **Abstract:**

This research article examines the problem of self-writing in the book Araq el rouh by Lebanese writer Yumna Al-Eid in terms of the genre of writing and the identity of the subject being narrated. It is first interested in the aspects of the fictionalization of the self in this text and the mechanisms adopted therein, focusing on three basic mechanisms of fictionalization, namely the mechanism of the literary genre, the mechanism pronoun play and the question mechanism. At a second level, the article looks at the image of the narrated subject and the degree of the contribution of the reference material to its formation, the characteristics of the self and the degree of participation of fictional components in its construction.

**Key words:** autobiography, fictionalization, self -writing, autofiction, Yumna Al-Eid, Araq errouh.

## 1- المقدمة:

حمل قطار الإبداع السرديّ إلى قراء العربيّة سنة 2013 زهرة جميلة من "غابة السرد" هي سيرة الأستاذة "يمنى العيد"<sup>1</sup>؛ نصّ يغازل القارئ تارة ويستفزّه أطوارا بما ينشئ من عوالم التخيل من ذوات تزرع في تربة النصّ تتغذى منها وتغذيها كدود الأرض تماما؛ إذ يشرقُ سردُ "يمنى" في "سيرتها" الرهيفة "أرق الروح" من صندوق بوح شفيف، ومن وحي المكان (صيدا/بيروت/باريس) شمسًا محتشدة بضوء القصّ المضفور بحساسةٍ مرهفةٍ عاشقةٍ، ليضع الإنسان والمكان والزمان في سلّة مُعلّقة بين الصمت والكلام، تتناثر على حوافها بذورُ النداءات الذاتية والجماعية وهي تتنفسُ هواء الحكايات وتستنشقُ عبَق القصص بشغفٍ مريبٍ يؤرّق الروح. ذلك أنّ المؤلّفة تحيا في "أرق الروح" سردَ الحياة بسلاسةٍ عجيبةٍ وترسم حياةَ السرد برهافة الجبر، وتذهبُ بعيدا في أفق الذات وتتوغّل في متاهاتها، بانتظار نُضج الرطب في أشجار الحكاية ترد من قلاع قصيّة محجوبة هي قلاع السرد. غير أنّ أرقها المنغرس في جذور الفقد والحرمان مثل مساحة أخرى للقصّ تتفقدُ فيها يمى العيد خسائرهما الجميلة، وتحصي فيها خيانات السنابل التي غادرت حقولها، وتصقّي الحساب مع إرثٍ ثقيلٍ على الروح لا يمكن فكّ شفراته بسهولة ويسر، لذلك امتطت المؤلّفة صهوة المتعة الباذخة بحثا عن واحدةٍ أخرى غير النقد تحطّ فيها رحال مخلوقات السردية الأليفة، تبشّر بالجمال والحب والانتماء والمواطنة الإنسانية الراقية مشكّلة ذاتا مركّبة عميقة لا يقولها إلاّ الأدب- فنّ اقتحام المجهول.

ولا شكّ أنّ عديد الأسئلة تتناسل على عتبة هذا النصّ البكر، لكن لا نخال أنّ في وسع هذا المقال أن يحيط بهذا النصّ وقضاياها. لذلك، اخترنا أن نتعرّف إلى نصّ "أرق الروح" من شاغل مشترك بيننا وبينه هو أمر "الذات"؛ فحينما نقرأ هذا النصّ، تتجلّى لنا الحاجة ماسّة إلى تعرّف هذه الذات الساردة وصلتها بالذات المبدعة وما يشكّل "أناها"، ذلك أنّ النصّ يتداخل فيه مقاما السرد والكتابة، كتابة تعرف كيف تصيّر الحروف ذواتا وتنشئ عوالم الذات من ماء الخيال وطين الحياة. لكن كيف تمّ سرد الذات؟ وعلى أيّ وجه تمّ تخيلها؟

سنحاول دخول صومعة الكاتبة وندعها تعرض علينا بعض أسرار الذات والكتابة من باب التخيل، هذا المفهوم الذي منذ هاجر من الشعر إلى السرد، صار فيه مفهوما هاما ومصطلحا صالحا يعني قدرة السارد على الإبداع والاختراع والابتكار يمتلكها بثقافته وتأمله في العالم المحيط به، فيخلق بها، ممّا سمع ورأى وقرأ ولمس وتذوّق عالما جديدا مختلفا عن العالم المألوف وذاتا مبتدعة.

وإذا كان الذي يعيننا من التخيل إذا ربطناه بمسألة الذات هو بالتحديد "تخييل الذات في "أرق الروح" باعتباره ممارسة أدبية إنسانية تعرض الذات المؤلّفة عرضا تخييليا<sup>2</sup> ينأى بها عن التقديم السيرداتي

1 يمى العيد، أرق الروح، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2013.

2 أنجز فاسون كولونا أطروحة بعنوان: "التخييل الذاتي: مقالة حول تخييل الذات في الأدب" ميّز فيها بين فهمين لتخييل الذات فهم ضيق هو ما ذكره "دوبروفسكي" حدّا للتخييل الذاتي كما أراده من نصّه "ابن" الذي جسّسه بـ"تخييل ذاتي" وفهم أوسع يعني "ابتداع مغامرات ذاتية ونسبتها إلى الذات وخلع اسم الكاتب على شخصية مدمجة في وضعيات خيالية<sup>3</sup> فيكون محتوى الحكاية تخييليا وتبقى هذه الحكاية مع ذلك موجبة بحياة كاتبها الثقافية والأخلاقية<sup>2</sup>. وحدّد منظور بحثه على أساس أنّه "بحث في الظاهرة وليس في

المرجعيّ أو يمزجه به، فإنّه من المهمّ أن نوّكّد بداية هذا العمل أنّنا نميّر تخييل الذات fictionnalisation de soi<sup>1</sup> من التخييل الذاتيّ autofiction، ونقترح "التخييل الذاتيّ"<sup>2</sup> اصطلاحاً مناسباً لجنس سرديّ ذاتيّ ناشئ اليوم له مقومات تمييزيّة تشهد بها في سردنا العربيّ المعاصر نصوص كثيرة، أمّا "تخييل الذات" فنراه مصطلحاً يغطّي ممارسات كتابيّة عدّة تحضر فيها الذات مخيّلّة رغم أصالة التجربة الذاتيّة فيها، ويكون فيها التخييل تقنية في رسم الذات وتشكيلها ليس إلّا. وعلى هذا الأساس من التمييز الاصطلاحيّ نتبّع في نصّ "أرق الروح" وجوه تخييل الذات معتقدين أنّ نجاح نصّ "يمنى العيد" في تحقيق رهانه في تخييل الأنا والواقع معقود بالآليات في التخييل. وكثيرة هي آليات تخييل الذات التي اعتمدت في "أرق الروح"؛ إذ انبني فضاء المقول السرديّ في غالبّيته على التداخي والتذكّر والاسترجاع واستنطاق المشاعر والأحاسيس الداخليّة القصيّة والأخيلة والاستمهامات. فاستفاد النصّ من إمكانات أشكال كتابة الاعتراف والسيرة واليوميات وفنّيات الرواية والتخييل. وهذه الأدوات التخييليّة كلّها تضمن إضاءة ملامح الذات وتكشف ظلالها الداخليّة المعتمّة. وأمام كثرة هذه الآليات والوسائل والأدوات سنكتفي في حدود ما يسمح به هذا المقال بإبراز قيمة ثلاث وسائل في تخييل الذات هي التلبس التجنيسيّ واللعب الضميريّ والسؤال.

## 2- تلبس التجنيس: دسّ التخييليّ في الذاتيّ:

وسمّت "يمنى العيد" نصّها بـ"سيرة" يتعرّف إليها المتلقّي من خلال ذلك الملفوظ القصير الوارد أسفل عنوان النصّ، الذي يحدّد هويته الأجناسيّة. وورود هذا اللفظ نكرة غير موصوفة (فهي لم تذكر: سيرة ذاتيّة كما ينتظر) يجعل منه عتبة حقيقيّة، فهو لا يشغل فقط ضقتي الحدّ الفاصل بين ما هو "داخل" جنس السيرة وما هو "خارجها"، إنّما يشغل أيضاً هذا الحدّ الذي يسمح بتنافذ "الداخل" و"الخارج"<sup>3</sup> ما يسم هذه العتبة التجنيسيّة بسمة البينيّة أو التردّد، ويجعل لهذه العتبة "سيرة" - أوّل المجازات إلى متن النصّ-

الجنس" واختار عنوان بحثه "تخييل الذات fictionnalisation de soi" وليس "التخييل الذاتيّ autofiction" وعكّل ذلك حين ذهب إلى أنّ التخييل الذاتيّ ممارسة ضيقة لم تنتج سوى بعض النصوص القليلة، أمّا "تخييل الذات" فممارسة قديمة جديدة تمتدّ إلى دانته Dante في الكوميديا الإلهيّة بدايات القرن 17.

وبعد تعدد جملة من الآثار التي اشتغلت على "تخييل الذات" والأسماء التي عنيت بتخييل ذواتها في صور عدّة وبأقنعة مختلفة أمثال التايواني هيونغ شان منغ والبيروفي فرغاس كلوزا Vargas Closa ودانته Dante وبروست M.Proust وفيليب سولار p.Sollers بعد هذا التعدد، يثبت الباحث أنّ "هذا الشكل من التخييل قد تخطّى كلّ الأعصار واخترق كلّ الأمصار والثقافات" وهو بذلك ليس جنساً مخصوصاً بزمن أو بمصر أو بثقافة دون أخرى وإنّما هو ظاهرة كتابيّة كما تشهد بذلك الأمثلة التي عرضها.

1 Vincent Colonna L'autofiction, essai sur la fictionalisation de soi en littérature, Doctorat de l'E. H.E.S.S., 1989. direction: Monsieur Gérard Genette/ École des Hautes Études en Sciences Sociales, France P 10.....

2 فتحي فارس، التخييل الذاتيّ في السرد العربيّ المعاصر، دار زينب للنشر، تونس، 2020، ص 96.  
3 في تقدير "جيرار جينات" رائد التنظير للعتبات النصيّة، أنّ السمة البينيّة لذلك الملفوظ المحاذي تكمن في كونه "أسمى من مجرد تخم أو حدّ فاصل: إنّ عتبة (...) تتيج لكلّ قارئ أن يدخل من غير حدّ صارم يفرق بينهما سواء أكان ذلك من جهة الدّاخل (أي النصّ) أم كان من جهة الخارج (أي خطاب القراء على هذا النصّ)

فاعليّة تداوليّة قويّة في توجيهها تلقّي هذا النصّ على أنّه بقصد المؤلّف "سيرة". غير أنّ ورود التجنيس نكرة يجعل من هذه العتبة أول فضاء يزاول فيه النصّ تذبذبه بين كونه سيرة و/أو سيرة مضادّة<sup>1</sup>.

بين التجنيس العنوائيّ الذي ترسمه عبارة (سيرة) على غلاف "أرق الروح" وبعض عتباتها الأخرى (التصدير مثلاً...) المحيل إلى "الخيانة والتخييل والابتداع"، ينشأ ضرب من التعالق الأجناسيّ يكشف عن وجهه منذ الملفوظ العنوائيّ المؤسّس لخصوصيّة التلقّي وأفق انتظار القارئ، ملفوظ يجمع أمشاج السير ذاتيّ بالروائيّ، ويربط عرى التخييل بالتسجيل. فعلى الغلاف تجنيس صريح "سيرة" وبين الغلاف والغلاف ينتصب الخطاب كالمستدرك، فالتصدير يعيد التفكير في التجنيس من خلال إضافة عنصر "التخييل والابتداع" لتصبح "السيرة" فيها من المرجعيّ الذاتيّ ما لها من التخييليّ، أمر يصرف القارئ إلى دهاليز الذات وأنفاقها الحبلية بالمفاجآت المدهشة.

إذا تخطّينا العتبات إلى المتن، أدركنا نوسان النصّ بين "أنا" الكاتبة ساردة و"أناها" مؤلّفة مستبطنة ذاتها وأنا الشخصية المسرودة المقدودة من ماء الذاكرة المنسكب على البياض الورقيّ مغموراً في فيض من الخيال. والإغراء في النصّ قويّ بعقد المطابقة بين شخصيّة يمى الذي في عروقتها تجري دماء النصّ كأننا ورقياً وشخص يمى العيد (أو حكمت الدبّاغ) التي تتنسم هواء الواقع ملء رثتها كأننا مدنيتاً يولد ويسمى وينمو ويدرس ويوفّق ويحصل على الدكتوراه ويتحدّث عن أساتذته ورفاقه وأهله كما يصنع أهل السير الذاتية. فمن الممكن للقارئ أن ينصت إلى صوت الكاتبة تحثّ الكلمات وتستدرّ ذاكرتها لتستعيد أحداثاً وصوراً ونوادير حميمة من طفولتها في "صيداً" أو شبابها الطالبية في بيروت ينحت في الصخر من أجل بناء لبنان الحديثة يكون فيها الولاء للوطن لا للطائفة. "حكمت زمن مضى، لكنّها داخل يمى تطرح اليوم أسئلتها عليها وتوقظ ذاكرتها بزمن لا يغادر الذاكرة"<sup>2</sup>. وفي النصّ ملامح كثيرة من كتابة المذكرات واليوميات: يرد على لسان الساردة "8-16 حزيران 1941 الأسطول الانكليزيّ في البحر مقابل القاسميّة وبالقرب من صيداً"<sup>3</sup>، وتستمرّ في سرد اليوميات: "16 حزيران تدخل القوات البريطانيّة" وعلى نفس المنوال: "13/7/1941 أعلنت الهدنة بين الجيشين المتحاربين"<sup>4</sup> و"في حزيران سنة 1941 ..."<sup>5</sup> يرد سؤقّ اليوميات في أسلوب تقريريّ توثيقيّ يداني في حيادته السرد التاريخيّ. وتتداخل كتابة اليوميات بأسلوب الكتابة السيريّة في استعادتها للماضي "حكمت زمن مضى، ... وتوقظ ذاكرتها بزمن لا يغادر الذاكرة"<sup>6</sup> والاشتغال بالنموّ الزمانيّ للشخصيّة وتبّعه من الولادة إلى لحظة الكتابة وسرد سيرة المكان على مألوف الكتابة السيريّة: طرقات المدينة (صيداً) ضيقة لا تدخلها السيّارات ... وكانت هذه الطرقات لا تزال كما

1 Autobiographie ou anti-autobiographie

2 أرق الروح، ص 13.

3 نفسه، ص 25

4 نفسه، ص 26

5 نفسه، ص 87

6 نفسه، ص 13

وصفها ناصر خسرو (1061م) جميلة نظيفة... أمّا بيتنا فكان يشغل الطابق الثالث من دار كبيرة<sup>1</sup>. هنا يعود الحنين بالسارة إلى بيت الطفولة بصيدا ف "ثمة أمكنة تبقى متميزة، تبقى مختلفة عن سواها اختلافاً كيفياً: موطن الولادة، منبت الحبّ الأوّل والشارع أو المدينة الأجنبية الأولى التي يزورها المرء في صباحه. إن هذه الأمكنة تحتفظ بصفة استثنائية، هي أنّها الأمكنة المقدّسة لعامله الخاصّ" كما يذكر "مرسيا إلياد". ويمتدّ التذكّر في الكتاب إلى استعادة أريج البيت وتاريخ العائلة، ووصف أجزاء البيت من غرف وحدائق ومقاعد وأرائك في دقّة تعكس رغبة في إعادة بناء البيت بواسطة الحكاية.

وعلى ضفاف هذه الكتابة المرجعية التي يمكن أن تقرأ قراءة إحيائية، تورق كروم التخيل كتابة تنثني أجنحة الحلم: "حنين إلى الفضاء الذي كان يحضننا وننمو فيه. وإلى ذلك القرب والتلاصق الذي أستعيد صورته اليوم معربشا عصر كلّ يوم على النوافذ التي كانت تتكئ على أفاريزها النساء ليروين حكايات الليل الفئات وشواغل الصباح الطالع كما كلّ يوم ... ونحن الصغار نعدّ الأيام على أصابعنا ونحلم بالسفر"<sup>2</sup>. يدعم هذا الشاهد ما ذهبنا إليه من أمر القراءة الإحيائية من جهة ارتباط النصّ بالذات البيوغرافية، ولكنّه يقبل القراءة الاحتمالية من جهة صدوره عن "رؤية شعرية لماض متدنّر بالغبوية وحبّ المغامرة والجرأة على الأمل في سياق خانق". وتقدّم الذات من خلال هذا التجنيس الملتبس ذاتاً ملتبسة هي الأخرى موزّعة على أكثر من "أنا" تعبّر بالأسئلة أكثر من السرد: "من أنا؟ هل أنا حكمت أم أنا يمني؟<sup>3</sup> وتكتب ذاتا أكثر من أن تكتب عن الذات؛ تقول: أنا المسكونة برغبة الانطلاق دون أن أدري إلى أين؟ لعلّها رغبة الاكتشاف... اكتشاف المجهول، القادم، الذي هو غير هذا الزمن، الذي هو ولادة ما... معرفة ما... الذي هو أكثر ممّا أنا..."<sup>4</sup>.

يبدو النصّ بين العتبات والمتن، سيرة غير مكتملة أو "نصّاً ذا مضمون أوتوبيوغرافيّ ملتفّ على نفسه في شكل روائي"<sup>5</sup>، فيه يكون الاشتغال التخيليّ بإستراتيجية "الإيهام بتخييلية ما حدث ويحدث"، ومن هنا أهمية هذه الاستراتيجية التخييلية في بلاغة النصّ وإنشائيته، فإن يجتهد نصّ يمني العيد في جعل الواقعيّ تخييلاً (الإيهام بالتخييلية) يكمن عنصر التغيير السرديّ وجديد الكتابة السيرية في "أرق الروح": جديد يقحمنا في جدليات هذا النصّ ومواربته منذ غلافه وصفحاته الأولى، بتردد في إبرام العقد السرديّ الذي يوجّه القراءة ويفتح أفق الانتظار لممارسة فعالية التلقّي<sup>6</sup>. وينتقل هذا التردد المقصود في "أرق الروح" إلى

1 نفسه، ص 40

2 نفسه، ص 42

3 نفسه، ص 11

4 نفسه، ص 104

5 Michel Bertrand, langue romanesque et parole scripturale, essai sur Claude Simon, Paris, ed PUF, 1987,

p155

6 لا تزال السيرة الذاتية من أكثر الأجناس الأدبية مرونة، وعدم استقرار، حتى لتوصف أحياناً بأنّها (جنس مراوغ) وبأنّ مصطلحها نفسه يكتنفه الغموض واللبس ويعود ذلك إلى أمرين: الأمر الأوّل هو قربها من أجناس محابثة كاليوميات والمذكرات والرسائل، والشهادات، واقتراضها بعض آليات عمل تلك الأنواع، أو نظمها الداخليّة، وأشكالها التي تأثرت هي أيضاً بالسيرة الذاتية. وأمّا الأمر

القارئ انطلاقاً من اللحظة التي يأخذ فيها المتن مسارات تمتح من السيرة والرواية، من شفافية المرجع وكثافة التخييل معاً، ممّا يجعل منه نصّاً انتهاكياً ذا هويّة أجناسيّة متردّدة موزّعة بين السيرة الذاتيّة والرواية. ولنا أن نتساءل في ضوء ما تقدّم: لِمَ اختارت يمني العيد أن تضع نصّها في هذه المنطقة البينيّة؟ ولمَ هذه الكتابة التخوميّة litigieuse؟

يبدو الالتباس في الشكل الأجناسيّ اختياراً جماليّاً نابعا من خلفيّة مقاومة للتصلّب. فهذه الطاقة السردية على انتهاك المقولات الأجناسيّة "الثابتة" وهذه القدرة على التفكيك تمنع الشكل من الاستواء وفق قالب أجناسيّ سابق وتمنع المعنى من الاكتمال ليصبح محتملاً ممكناً من داخل الالتباس ذاته، وعلى هذا النحو يعلن "أرق الروح" أصالته إزاء أفق أجناسيّ اختار تشويشه. ولذلك التشويش أثر في بقية آليات تخييل الذات.

### 3- اللعب الضميري: جماليات الأنا:

يثير السؤال المضمّن في متن "أرق الروح" "من يكتب السيرة؟"<sup>1</sup> سؤالاً سابقاً طرحته السرديات وهو: هل يُمكن للذات أن تتحرّر من ذاتها عند تحوّلها من سياق الذات المنفصلة عن الموصوف إلى واصفة وموصوفة في الحين ذاته؟<sup>2</sup>، إذ استلزمت لعبة الضمائر في نصّ يمني العيد استخدام الأنا الواصف والموصوف بافتراض التماهي بين الأنا المؤلّفة والأنا الساردة أو المراوحة بينهما علناً أو ضمناً، مثلما تسعى أنا المؤلّفة و أنا الساردة، مُتداخلتين أو مُتباعديتين إلى التماهي الحكائيّ مع الشخصيات ومُجمل عناصر البنية السردية، وتوجيه الأحداث والحكم عليها دون الاكتفاء بوصفها.

فإجراء الخطاب في "أرق الروح" بضمير المتكلّم يحيل إلى "السرد الحكائيّ المتماثل"<sup>3</sup> استعارةً سرديةً تقارب، حدّ المداخلة، بين الأنا المؤلّفة والساردة والمسرودة. وتراهن هذه الاستعارة السردية على ضربٍ من علاقة التشابّه بين الواصف والموصوف سرّداً دون تغييب أحدٍ منهما. إلا أنّها تُحوّل وجه الشبه من وضع الانفلات (المُتخيّل الحرّ) إلى التقييد (المُحيل إلى ماهيّة الأنا السارد والمسروود معاً) رغم انزياحات الأداء الوصفيّ نتيجة اختلال الذاكرة الساردة أحياناً أو الخوف من الاستمرار في الاعتراف أو تداعيات كتابة الحنين وما يتشبّه للذات الكاتبة أنّه الأداء ذاته.

رغم السؤال الحائر المخترق للنصّ عمّن يكتب السيرة، فإنّ أمر سردها واضح بيّن، إذ حرصت يمني العيد على أن تظلّ لعبة الضمائر قائمة بين أنا المؤلّفة وأنا الساردة كي تزرع "أرق الروح" في سيرة "تخييلية" لا تفرّق

الثاني فهو الإكراهات والقيود التي تتحكّم في كتابتها، وتجعلها تسرب مضامينها وأشكالها إلى تلك الأنواع، يتخفّف بها المؤلّف من بعض اشتراطات كتابتها، كالسرد بضمير الغائب، أو اللجوء إلى التعديل والحذف، وركوب آليات التخييل.

1 أرق الروح، م. م.، ص 228

2 Jean-Philippe Miraux , « L'autobiographie, écriture de soi et sincérité » , France: Amand Colin, 1996, p 73.

3 يميّز ياب ليفلت (Jaap Lintfelt) السرد الحكائيّ غير المتماثل من السرد الحكائيّ المتماثل ويفصّل السرد الحكائيّ المتماثل " فيجعله ينقسم إلى ضربين من الأداء: ضرب أول يقوم على تسيير الأنا — السارد للأحداث و المشاركة فيها (Type auctorial) ، أمّا الضرب الثاني فينهض على تحوّل إحدى الشخصيات إلى سارد (Type actoriel) .



بين أصل مرجعيّ هو كتابة وقائع معيشة ضمن زمان ومكان مُحدّدين وبين حُلُم البدايات حلم الطفولة، فتتماهى الذاكرة والمُتخيّل ويجتمع المعيش المتذكّر والرمز التخيليّ، ويطفو وجود الأنا على سطح الحكاية حائرة متسائلة تُعلن بداية سيرتها: "من أنا؟ هل أنا حكمت أم أنا يمني؟..."<sup>1</sup>. كذا البدء في "أرق الروح" رحم يتّسع لذات تصل أنا المؤلّفة بأنا الساردة. فيستمرّ لعب التماهي لإعلان بهجة الكتابة والرغبة في أداء الفعل السرديّ بفرح حزين حينما تستعيد الذات المؤلّفة البعض المكثّف من طفولة الاسم (حكمت /يمني) وتحوّل الذكرى إلى رمز رافد للحكاية لإكسابها قوّة الاندفاع التي يحتاجها فعل الولادة؛ يرد في النصّ: "كأنّ الـ"هناك" كان المدينة الحلم، الحلم الضبابيّ البعيد وراء بحرنا خلف الأفق.. كأنّ الـ"هناك" هو أنا التي سأكون، التي تسكنني وتدعوني لألدها. يمني.. سأعبر إلى يمني"<sup>2</sup>.

وتبدو لعبة الضمائر في البداية غير ملتبسة نتيجة اشتغال السرد داخل دائرة الأنا (أتذكّر ...، أعود إليك لأعترف ...) هذا الضمير المتكلم المفرد الذي يُقارب أنا المؤلّفة ويتّجه بالخطاب إلى ضمير مخاطب مُفترض يختصر جميع إمكانات التلقّي وضمائره ووضعياته. فالسرد بضمير المتكلم أصل السرد السيريّ لما فيه من حميميّة وبساطة، وقدرة على التعرية؛ تعرية النفس من داخلها، بما مكّن هذا العمل الأدبيّ، خلال ذلك كلّه، من بناء جماليّة قائمة على عفويّة الذات في تعريها وانكشافها ... فقد اختارت المؤلّفة في "أرق الروح" أن تنسب البطولة لضمير الأنا، وألّا تضع الكلام في فم غير فمه. فجاء النصّ وهو يُروى بضمير المتكلم، في توهج وألق، إذ منحته الأنا صدقها، وحميميّتها، وعفويّتها، واندفاعها ... وخلعت عليه إنسانيّتها المكتوبة بدم "الأنا" ودموعها..... "كنتُ الأنثى التي تاهتُ بين الاسم والمسمّى"<sup>3</sup>. وقد وجدت يمني مجالاً أرحب للتعبير من خلال الانسحاب لهذا الضمير الحيّ والحميميّ المتكلم والمتألّم، المرن والمُنساب الذي يغمر النصّ بجماليّة خاصّة، سواء في مستوى سرد الذات (الذات ساردة) أو في مستوى تسريد الذات (الذات مسرودة)؛ تقول: "المدن الكبرى أمكنة لمعانقة الأنا بحريّة، لضياح يبثّ فيك الرغبة لاستعادة الذات. كنت كمن يبعثر ماضيه وما راكمته طفولتي ومراهقتي من مرارة وضيق ومشاعر بالفقدان والموت ... لكن لأعيد صياغة ذاتي، ألملم هذا الذي أبعثره متأمّلة متطلّعة إلى صورة جديدة له"<sup>4</sup>.

ومن طريف اللعب الضميريّ في "أرق الروح" إجراء "الأنثى" مكان "الأنا" وبقاء الخطاب دائراً حول الذات المتكلمة، إذ تميل المؤلّفة أحياناً إلى ضمير المخاطب "أنت" ينقل كلماتها عن نفسها، خاصّة حين يتمكّن سؤال الذات بها فتجرّد من نفسها ذاتاً تخاطبها فتنشئ من الذات ضمير المخاطب ليكون فضاء الحوار مع الذات وفرصة لمعرفتها؛ تذكر الساردة في الصفحة 227: "ومن هي هذه الأنا؟ هل أنا هي؟ حكمت التي حكيت حكايتها، أم هي أنت التي أخاطبُ وتورجحي فاتحة لي نوافذ لأعبر منها إلى ما يبدو لي الآن مجرد وهم؟... فتقدّم إلى القارئ مادّة سيريّة عن ذاتها من خلال الآخر الذي تكلمه في "أناها" وسيرتها. وهو أسلوب

1 أرق الروح، م. م. ص 11.

2 نفسه، ص 200

3 نفسه ص 15

4 نفسه، ص 42

في سرد الذات طريف لطيف ممتع جالب للتصديق لأنه يوضع في فم غير فم السارد، ويروى على لسان غير لسانه فيأتي أمعن في التوثيق.

وفي هذا المستوى يتعقد نظام الإضممار في المتن السيري ليمنى العيد، فيتمّ التلاعب بالضمائر، وتكون المراحة بين المتكلم والمخاطب والغائب حديثا عن الذات وحكيًا لقصتها. ففي ملفوظها المنسوب إلى الأنا وتدخلاته وتعليقاته وشكواه ونجواه مادة "سيريّة" تخطّ بعض ملامح الذات (ولدتُ مقتنعة (ص 17)، كنتُ مريكة بعلاقتي بذاتي (ص 14)، وأنا أئنّ مخنوقة الصوت من خوفي (ص 31)...)، وفي بعض مواطن النصّ تقام المسافة بين الأنا الساردة والأنا المسرودة لتأمل الحال، فتنفصل الذات إلى ضميرين، ويكون اعتماد ضمير الغائب "فرحةً كانت بحياكة الشال الصغير (تقول هذا عن نفسها ص 66)، و"راكضةً وصلتُ الطفلة إلى قرب باب المدرسة..." (ص 72).

على هذا النحو، يُظهر التقدّم في النصّ وفصوله تشقّق هذا الضمير الواحد (أنا/ ت) إلى مختلف الضمائر المتشابهة في متن النصّ. "ألهدا أكتبُ عنها (يمنى) اليوم، غير ما كتبتُ هي طوال سنوات؟<sup>1</sup>؛ فإذا الخطاب يضعنا أمام ضميرين يحيلان إلى نفس المرجع: أنا المتكلم (أكتبُ (يمنى))، وهي الغائبة (عنها (يمنى)). وهذه الصورة يدخلنا الجانب اللغويّ (رواية النصّ بضمير المتكلم) الدال على العائدية، في مأزق سرديّ تتعقد معه المسائل. في هذا المستوى يكون "السارد السير ذاتي غير ملزم بأيّ تحقّظ بإزاء ذاته، والتحدّث باسمه الخاصّ، بسبب تطابق السارد مع الشخصية، كما يبيّن جيرار جينيت G. Genette الذي يثير المشكلة من زاوية وجهة النظر، فيجعل التبئير الوحيد من زاوية نظر السارد الشخصية، يتحدّد بالعلاقة مع معلوماته الحالية باعتباره ساردا، وليس بالعلاقة مع معلوماته الماضية بوصفه بطلا، أي أنّ اتجاه السرد لا يبدأ بشكل خطّي، كما هو في الحياة التي عاشها في الماضي، بل الحياة التي يروها الآن جزءًا من ماضيه"<sup>2</sup>. وإذا أنعمنا النظر في موضع المتلقّظ المحدّد بضمير المتكلم في "أرق الروح" تراءت لنا ثلاثة أنوات تتحرّك في فضاء النصّ هي:

- أنا المؤلّف الحقيقيّ المعلن صراحة اسما ولقبا وفق الميثاق السيرذاتيّ بأنّه صاحب التلقّظ المندرج في المتن.
- أنا السارد المنتزّل في متن النصّ، بكونه سردا ذاتيّا، واحتكاما إلى التبئير الذي سينفرد به.
- أنا الكائن السيريّ الذي سيتعيّن بأبعاد محدّدة نسبة إلى الأفعال والوصف والمحدّدات السردية داخل العمل نفسه<sup>3</sup>.

1 نفسه ص 228

2 جيرار جينيت وآخرون: وجهة النظر من السرد إلى التبئير، ترجمة ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء 1989، ص 67.

3 حاتم الصكر: مرايا نرسييس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، 1999، ص 146.

هذه الأنوات التي يختلط فيها النحويّ بالكتابيّ والسرديّ تدعو إلى السؤال عن إمكان التطابق بين المؤلّف والشخصية والسارد في ضوء رغبة الساردة في التعدّد "أودّ أن أدخل في التعدّد ... أودّ أن أكون أكثر من أنا"<sup>1</sup>، وفي ظلّ حرص السرد في "أرق الروح" أن تظلّ لعبة الضمائر قائمة بين أنا المؤلّف وأنا السارد وسعيه إلى الإلباس بينهما كي تنزع "سيرة يمني" في الأخير إلى التخييل الذاتي الذي لا يميّز بين أصل مرجعي هو كتابة وقائع معيشة ضمن زمان ومكان مُحدّدين وبين أحلام الذات واستمهاياتها التي سكنت تجاويف النصّ وأكسبته صفة المعيش المتذكّر والرمز التخيليّ.

وهذا التنوع في المتكلمين مع ثبات المتكلم عنه، وهذا للعب الضميريّ الدائر حول "الأنا" يبعثر الذات ويعدّد المنظورات المرتبطة بوعي المؤلّفة وتكوينها الثقافي والاجتماعي في ضوء خصوصيّة تجربتها الفرديّة وتاريخ الذات الجريئة التي تتطّلع إلى الكشف والمكاشفة والانكشاف عبر صراط الكتابة "أودّ أن أبداع حياة لي ... ليس السفر ولا الدكتوراه ولا الزواج ولا الأولاد سوى شكل من أشكال إبداع حياة مدهش وجميل... غير أنّ الكتابة هي ما بقي مهوّم داخلي ويطلق روعي"<sup>2</sup>.

ويجد تنوع الضمائر واللعب بنظامها في "أرق الروح" معناها في الارتباط بمسألة الهوية وعلاقة هذه الضمائر بالاسم العلم<sup>3</sup> واستراتيجيات سرد الهوية في هذا النصّ.

إذ تبدأ حكاية الضمائر مع الاسم المحال إليه منذ السطر الأوّل من السيرة: "من أنا؟ هل أنا حكمت أم أنا يمني؟ ورغم تعبير الاسم العلم في نظريّة العلامة اللغويّة على مُعيّن صارم التحديد، ورغم اعتباره "سيدّ الدوال"، ورغم "وظيفته التعيينيّة الصرفة أي تمييز شخص أو شيء وتفريدهما بواسطة بطاقة مخصوصة"<sup>4</sup>، فإنّ للاسم العلم مع هذا النصّ حكاية خاصّة حتّى ليتمكن أن نعدّ "أرق الروح" سيرة الاسم العلم "كان لاسمي حكاية أخرى"<sup>5</sup>، لذلك فهو "يقترضني منّا استكشافاً وفكاً لرموزه ... إنّه دليل ضخم، دليل مفعّم دوماً بمعنى مكثّف لا يمكن لأيّ استعمال أن يقلّصه أو ينفيه"<sup>6</sup>، فهو في "أرق الروح" المبتدأ وهو الإشكال في النصّ والحياة. إذ تفترض العلميّة أن يكون الاسم واحداً حتّى يكون علمًا وعلامة ولاة وتعريف وهويّة، إلّا أنّه في النصّ متعدّد يمزق الشخصية بين هويّات متنوّعة (حكمت) (كما سمّاها والدها)، يمني (كما سمّت نفسها واشتهرت في الوسط العلميّ والأدبيّ))، فكانت هي "الأنثى التي تاهت بين الاسم والمسعى" وتاه عنها كيانها بين "حكمت" التي أريد لها أن تكونها، ويمني التي أرادت هي أن تبداعها "أودّ في أعماق أعماقي أن أكون يمني لا حكمت الاسم الذي راح مع الأيام يؤزّقني"<sup>7</sup>. لكنّ هذه الرغبة وذاك السعي إلى التخلّص من "حكمت" لم يكن كافياً لمحوها، فظلّ الاسم وما يختزنانه من دلالة يصطرعان على أبواب

1 أرق الروح، م.م. ص 13.

2 أرق الروح، م.م. ص 203

3 فتحي فارس، التخييل الذاتي في السرد العربيّ المعاصر، دار زينب للنشر، تونس، 2020، ص 246.

4 S. Kripke, la logique des noms propres, Paris, éd. Minuit, 1982, p.37.

5 أرق الروح، م.م. ص 14

6 R. Barthes, Le degré zero de l'écriture, Seuil, coll. Points essai, 1972, p.124.

7 أرق الروح، م.م. ص 12.

الكيان؛ وفي القول الآتي شاهد على احتدام الصراع في جنبات الذات: "أنا يمى أقول. فهل طوى الزمن حكمت أم أن يمى وحكمت لا تزالان تتصارعان في داخلي؟"<sup>1</sup> هنا يتحوّل خطاب الذات إلى خطاب مغرّق في التجريد، وينقطع عن المرجعية التي يوهم بها تجنيس "السيرة" ويتحرّك تدريجيًا نحو مرجعية ذهنية هي في النهاية ضرب من تخييل الذات وتأمّل وجودها في أرض الوعي: "تبدولي يمى أحيانًا مجرّد معادل للكتب التي كتبها، لحبل من الكلام والأفكار للغة تغرّبت بها عن حكمت..."<sup>2</sup> ولكنّ هذه الاستراتيجية لم تفلح في حسم هذا الصراع ف"ها هي حكمت تستيقظ داخل يمى غريبة لكنّ تلك الغربة لم تفارقها. راكدةً بقيت حكمت تحت جلد يمى مستقرّة في دمها، تننّفس بخفاء نسمات روحها"<sup>3</sup> وعبثًا تبحث يمى عن "التحرّر من ذلك الصراع الذي ما زال يضرّم النار في عالمها"<sup>4</sup>، ففي هذه اللحظة على مشارف ولادة الكيان، تعيش الذات أقسى وعيها في تمزّق جليّ بين أنوين: أنا الشاهد على ما يجري من الأفعال (مشهد الحركة) وفيه انفصال بين الضمائر بيّن، وأنا المتأمّل للأحوال (مشهد الوعي) وفيه اندغام للضمائر حتّى تُرى الأنا في الآن نفسه أنا ذات وموضوع، متأمّلةً وعنصرًا من عناصر العالم الذي تتأمّله، بل هي أنا مزدوجة؛ متعالية على عالمها المرويّ ومضمّنة في داخله. في هذه اللحظة على مشارف ولادة الكيان تعيش الذات الساردة أقسى وعيها في تمزّق جليّ بين صوتين:

■ صوت يلحّ في استبقائها ضمن السائد "جسد ضاق به العالم"<sup>5</sup>.

■ صوت يستحقّها على الفعل وصناعة الذات "لم أنس حلم الأنا.. أناي بأن تكون"<sup>6</sup>.

ومن الأعماق يُناديها هاتف الرحيل من قاع خوفها لكي لا تفقد الأمل في حيرتها العالية الناجمة عن الشعور بالاغتراب والحنين إلى المفقود؛ تقول: "أين أنا؟ وماذا تريد منّي هذه الأنا؟ ومن هي هذه الأنا؟ هل أنا هي؟"<sup>7</sup> من هذه الحيرة تسرح الذات راحلتها رغم متاعها الشحيح، بحثًا عن "سندباد" فيها يغامر موعلا في بحر المعنى الذي يتطلّب التذكّر والحنين لمواجهة العزلة والنسيان، ومقاومة الشعور بالخوف واليأس وسط أكوام الخراب الوجودي الذي ترسمه لوحات السرد في "أرق الروح". فسفر يمى من ذات "حكمت" إلى ذات "يمى" هو ما مكّنها فنيًا من مواصلة البحث في أسئلة كينونتها كأنّها تُحرّض أدها على القول والبوح بما يُبقي الأمل لديها حيًا.

من هذا الصراع الذي لم ينته بين يمى وحكمت ومن انتشار الذات بين هذه الضمائر المتعدّدة ترسم الهوية السردية. كما علكتها يد الساردة من طين الحياة وماء الكلمات، هوية حيّة مركّبة حائرة في ذاتها تجعل

1 نفسه، ص. 12.

2 نفسه، ص. 12.

3 نفسه ص. 13.

4 نفسه ص. 13.

5 نفسه ص. 15.

6 نفسه ص. 154.

7 نفسه ص. 227.

من السرد منصّة انطلاق لمحاورة هذه الذات والتعرّف إليها ومن السؤال أداة أخرى في تخيلها والتعبير عن حيرتها.

#### 4- التخييل السؤالي: أرق الروح:

قارئ "أرق الروح" في عمقها لا تبدو له هذه السيرة مشاهد سائبة من زمن منفلت يلاحق فيه الخطاب الخبر ولا هي سحابة ظليلة من ذكريات ينفثها صدر ذات ضاقت بها الفضاءات و"أزقت روحها" أسئلة المنزلة والوجود، ويكتشف خلاف ذلك، أنّها عالم سيميائيّ متكامل ينشأ وينمو في رحم ذاكرة غير رحيمة تبذر فيه يميني أسئلتها برؤية المبدع المفكّر، عالم سيميائيّ فيه تتخفّف الذات من حملها وتتخفّى وتتجلّى في الحين ذاته.. و"لا سبيل إلى تجسيد مشروع كهذا إلا بالتماس الكتابة أداة لصهر الكيان وتأليفه في رؤية موحّدة قادرة على اختزال مغامرة الأنا الزمنية واعتصارها في معنى كليّ يفرزه الملفوظ السيرذاتي"<sup>1</sup>. ينطلق هذا المشروع من أنّ الأنا "غير متصالحة مع أنوثتها وإن كانت لا ترفضها، لكنّها لا تعيش امتيازاتها التي وهبتها الطبيعة، ولا تتجرأ على حوارها أو التعرّف إليها في مرآتها المكسورة، مرآتها التي تشظّت باكرا وتركبتها للصمت"<sup>2</sup>. فكانت الكتابة في "أرق الروح" اختراقاً لأسوار الصمت وحوارا مع النفس في أداء سيريّ متميّز بناء وأسلوباً؛ إذ يختلف الخطاب السيريّ فيما بزوعه إلى السؤال والارتباب خلاف ما نقرأ في مألوف السيرة الذاتية من خطابات الإثبات والإقرار. إذ تغمر هذا النصّ الأسئلة من كلّ جوانبه بها يُفتتح ( "من أنا؟ هل أنا حكمت أم أنا يميني؟) ومنها يتولّد وينمو ("أين أنا؟ وماذا تريد منّي هذه الأنا؟ ومن هي هذه الأنا؟ هل أنا هي؟) حتّى غدت الأنا "علامة استفهام"<sup>3</sup>. فأغلب الأسئلة أسئلة هويّة ترتبط بالجنس (الأنثوية الملمجومة)، والاسم (يمينى أم حكمت) واللقب العائليّ (العيد/الصباغ/المجدوب) وتمتدّ إلى الأسئلة التي "تؤزّق وتغرس الوجع في الضلوع"<sup>4</sup>. يمثّل السؤال إذن الهوية الأسلوبية لهذا النصّ السيريّ، فلا نعرث فيما قرأنا من سير على هذا الحضور الكثيف للاستفهام بأنواعه ما يجعل "أرق الروح" سيرة طلبية تطلب الذات وتكتبها أكثر ممّا هي تسردها وتكتب عنها. والطريف أن يتحوّل السؤال سبيلاً إلى تخييل الذات تخيلاً أصيلاً من خلال التركيز على ما يولّد السؤال وما يولّده السؤال، ومن ثمّ العبور إلى بواطن الذات وتأمّلاتها وتهبّواتها، فيتنزّل النصّ بذلك على أبواب السيرة الفكرية "intellectuelle autobiographie"؛ تقول: "أنا ... تلك الرغبات الصامتة وعلامة الاستفهام والأحلام الغارقة في سؤاليها. من يترجمني؟ من يقرأني؟ من يرفع عن ذاتي حجماً؟ من يكشف عن المضطرب في دواخلي عن حاجاتي الغارقة في ظلمة طفولتي."<sup>5</sup> ولعلّ السؤال أفضل تعبير عن هذه الذات الحيرى و"الدواخل المضطربة"، لذلك أحلته المؤلّفة مكانة كبيرة من مساحة

1 جلييلة طريطر، "مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث"، تونس، مركز النشر الجامعيّ ومؤسسة سعيدان للنشر، 2004. ص47.

2 أرق الروح، م.م، ص130

3 نفسه، ص201

4 نفسه، ص239

5 نفسه، ص97

النص تكاد تمسح ربع المكتوب، فقد أحصينا ما يقرب من خمس وأربعين ومائتي (245) جملة استفهامية تثبت هذا الانشغال باستنطاق الذات عبر "أسئلة لا تموت"<sup>1</sup>. وقد بذرت المؤلفة في النص بعض "علامات" التفكير تحث بها الذات على التأمل من نوع "أفكر، أقول،..." فكانت مؤشرات المرور من الذاكرة إلى تفكير ما جرى والعبور من الوقائع إلى الفكر، ومن الخارج إلى الداخل ليصبح السرد جوائياً ينقل مناخات الذات بعد تشكيلها خطابياً برؤية ناظمة تلم شتاتها وتذيب الفواصل بين المرجعي والذاتي وفق منظور ينهض على "تبعيد" distanciation تنقسم له الذات ناظرةً ومنظورةً سائلةً ومسؤولةً، ويستنطق فيه التفكير التذكّر استنطاقاً "يذهب إلى ما تحت طبقات الوعي"<sup>2</sup>، ويغوص عميقاً بالسؤال مغول التفكيك الأساسي في "حقيقة" الذات يستجليها ليجعل من "فضاء الكتابة السيرذاتية فضاء تبعيدياً وتقويمياً بالأساس"<sup>3</sup> سمّاها "بول ريكور" بالحكم التأملي (le jugement réflexif).

يجثم السؤال بأشكاله المختلفة على صدر النص في سيرة يمى العيد ويحتل مساحة هامة من الخطاب فيها، تعويضاً عن أزمنة الصمت وثأراً منها "يراودني السؤال عن معنى ما أرى ولا أسأل. لم تكن نسال، كنّا نصغي ونرى ونسمع ولا نقول"<sup>4</sup> ويرد في موطن آخر من النص "السؤال ملجوم، مطوق بالصمت"<sup>5</sup>، غير أنّ معناه الأكبر يكمن في تعبيره عن حيرة الذات في ذاتها وما حولها وفي تقديمها ذاتاً تقبض على جمر السؤال تمسكاً بـ "حكمة اللايقين"<sup>6</sup>. ينتهي بنا هذا القسم إلى تبيين حرائق السؤال المشتعلة في كلّ مكان من السيرة وفي كلّ ركن من أركان الذاكرة، فرأس "يمى" تنور يفور ولبنان حرائقها في كلّ فجّ: حرائق الطائفية الظاهرة لا تخلف إلا الرماد والسواد، وحرائق باطنة هي حرائق الأكياد على الأطفال والشباب ومستقبل البلاد.

من هذه الزاوية، قدّمت الذات بهذه الوسائل التخيلية ضمن منظور لا يعتقد في حقيقة مطلقة أو مرجع لا يقبل التشكيك، بل سردت علينا في ثورة شكّ حملها السؤال إلى كامل أرجاء النص، به وسّعت المؤلفة المسافة بين الذات الساردة والذات المسرودة لضمان اكتشاف هذه الذات الأخرى، فـ "البحث عن الهوية في هذا الشكل التعبيري يقوم على تفكيك هذه الهوية وتمكين الكاتب من معرفة أعمق بذاته واكتشاف مختلف وجوهها ونسخها ses versions"<sup>7</sup>. ومن زاوية أخرى، تقرّب صورة الذات كما يرسمها السؤال الدائم اللاهث وراء الحقيقة، "أرق الروح" من المشروع السردى الافتراضي<sup>8</sup> ما يدفع القارئ إلى تحري ذاتية

1 نفسه ص 128

2 نفسه، ص 11

3 جليلة طريطر، مرجع سابق، ص 87.

4 نفسه، ص 32.

5 نفسه، ص 33.

6 العبارة لميلان كونديرا من كتابه "فن الرواية"

7 Sébastien Hubier, Littératures intimes: Les expressions du moi, de l'autobiographie à l'autofiction, Armand Collin, Paris 2003, p79.

8 السيرة الذاتية في أدبنا العربي كانت غالباً مشروع الذات تسعى به إلى القارئ للتأثير فيه وتغييره خاصة مع الكاتبات التقدميات أمثال غادة السمان في القبيلة تستجوب القتيلة، ونوال السعداوي في "مذكرات طيبة" و "مذكراتي في سجن النساء"، وفدوى طوقان في "رحلة جيلة-رحلة صعبة"، ولطيفة الزيات في "حملة تفتيش: أوراق شخصية"

المعنى السيرذاتي بما يعنيه من استعارة البناء الحكائي بكل ما يحتمله مصطلح الحكاية من طغيان التخيل والصناعة اللفظية على التعيين، أكثر من تحري صدقية السرد الذاتي. إذ يظل الصدق في السيرة الذاتية باعتباره حدًا أخلاقيًا "مجرد محاولة" بعبارة إحسان عباس<sup>1</sup> يحدّ منها زمن الكتابة، بما أنّ فعل الاسترجاع والاستعادة بواسطة الذاكرة يتمّان في الحاضر، ذهابًا إلى الماضي بطريقة الانتقاء التي تسمّيها يمني العيد "الاستنساب" و"عجز الكتابة عن استعادة كل أبعاد المحكي، بل اجتزاء وأحيانًا تقديم وتأخير الوقائع كما يقتضيه السياق"<sup>2</sup>. واعتبار "أرق الروح" مشروعًا يجعل من سيرة يمني العيد ملفوظًا حجاجيًا يقارع أطروحات الآخر، ويجعل حقيقة هذا النصّ منوطة بمغزاه الحكائي والمغزى الحكائي. مجال استعراض القدرات القصصية واللغوية والحجاجية. كامن في التفاعل مع من تسبّب في توريث الذات الساردة إرثًا ضخما من العقد والآلام. فكان البيت والمدرسة والثانوية والجامعة والمجتمع في سيرة "يمني العيد" فضاء حجاجيًا ومقام احتجاج قبل أن يكون مكانًا قصصيًا واقعيًا.

## 5- خاتمة:

تبرز القراءة التي قدّمنا أنّ "أرق الروح" نصّ منزع في تربته العربية، واع بخصوصيتها، مستجيب لمتطلباتها رغم ذاتيته؛ فليست الكتابة الذاتية فيه تلبية لمتعة الذات في التعبير عن ذاتها واللعب بالكلمات أو انطواءً يأنسا عليها، وإنما الأمر عند يمني العيد يربط عروة الجمال بعروة الاشتغال بسؤال الإبداع، والبحث عن أبلغ الأساليب وتجريب أجدى طرائق التعبير، التي تمكّنها من تحقيق أفكارها وتصوّراتها، وإنتاج معرفة إبداعية قادرة على حمل رؤية فكرية تحديتية تحريرية "داخل خارطة توشي مسالكها وحواشيها بقع الدم وأشراط الحداد"<sup>3</sup>. لذلك تعاضد البناء الفني والرؤية الفكرية في نسج "سيرة" مميزة لعب فيها "تخييل الذات" دورًا مهمًا في تشكيل النصّ وصوغ الذات في آن. إذ اشتغل النصّ في "أرق الروح" بتخييل الذات معتمداً أكثر من آية كما أسلفنا الذكر ليستوطن تلك المنطقة الوسطى المتحركة بين السيرة الذاتية والرواية بأداء المطابقة حينًا والإيحاء التخيليّ أحيانًا. وهذه الممازجة المبنية على مخالطة الميثاق ومزاوجة التخيليّ بالمرجعيّ واللعب الضميريّ والسؤال الكثيف، تؤكّد أنّ جماليته كامنة في الوفرة والاختلاف، فالسيريّ في هذا النصّ قد استثرى بالتخييليّ تنوعًا في الوسائل والأدوات. فجاء "أرق الروح" نصًا إبداعيًا تتنازعه ثنائيات المرجع والتخييل. فليس كلّ ما أورده المؤلف في تقديرنا. ما عاشته فعلا ولا هو محض خيال، بل إنّ ما حبرته على امتداد هذه "السيرة" هو ما عيش منخولا منقولا عبر مصفاة الذاكرة والعقل والخيال والسؤال، تدوّن وتغريل وتنخل وتزيد وتنقص. ترينا ما ترى، وتنقل إلينا رؤيتها وفق زاويا نظر متعدّدة، وهي في كلّ ذلك تنسج خيوط حكايتها في مواجهة المحدّدات الأجناسية للسيرة الذاتية مضحية بكثير من توقّعات

1 إحسان عباس: من السيرة - دار الثقافة، بيروت، ط2، دون تاريخ، ص113.

2 يمني العيد: السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة، مجلة فصول، العدد الرابع، القاهرة شتاء 1997، ص12.

3 محمد برادة، مثل صيف لن يتكرّر، الرباط، المغرب، منشورات الفنك، 1999.

القراءة الآتية من خارج معاناة الكتابة وعذاباتها... وهذا وجه من وجوه تميّز هذا النصّ وطرافته من جهة وتجلّ من تجليات الذات الكاتبة في نصّها من جهة أخرى.

وتكشف قراءة النصّ من مدخل تخييل الذات أنّ "أرق الروح" سيرة مشروع. والمهمّ، عند هذه النقطة بالذات، هو الهدف الثاوي وراء اختيارات المؤلّفة الجماليّة في صوغ سيرتها وتخييل ذاتها. فهذا الانتهاك لمنطق التجنيس السرديّ، وهذا الاختراق للمواثيق المألوفة، وهذا الإدماج للتخييليّ في المرجعيّ، وهذا التسأل الممتدّ على جسد النصّ، هذه العناصر تمثّل في تفاعلها كفرا بالهويّات المغلقة ودعوة فنيّة إلى الاختلاف، فقد وُظّفت عديد أدوات تخييل الذات للتعبير عنه (الكفر بالهويّات المغلقة)، فجاءت سيرة يمني فضاء حجاج واحتجاج، يحتاج أن نتعامل معه بوصفه نصّاً ثقافياً يعبر عن مشروع صارت فيه الكتابة السيرذاتيّة، مطلباً ثقافياً يتعدّى أفق الإبداع الأدبيّ والتدوين الذاتيّ لحيّة يمني إلى سيرة جماعيّة<sup>1</sup>، تشهد على مجمل العلاقات في لحظة تاريخيّة مّا، بدءاً من العائلة، فالمحيط والمدرسة، ومؤسسات الحبّ والزواج، ثم العمل والإسهام الفكريّ. يتجلّى هذا المشروع في تطلّع الذات إلى تحرّرها الفرديّ وانعتاق الجماعة من ربقة التخلّف: "أتوق إلى عالم آخر... لعلة عالم يمني اليوم، منه أعود قارئة لمربّعات الضوء والعمّة التي ما زالت تندسحب على زمننا، لعليّ أبرئ الأسماء من محمولاتها التي نشهرها أحياناً سيوفا حادّة بين الأجناس والأديان والحضارات ونقيمها حواجز ثابتة بين الهنا والهنالك، بين النحن والهم، بين بشرية تشاركون غالباً المأساة على هذه الأرض"<sup>2</sup>، وتوق الأنا إلى أن تكون "نموذجاً وطنياً لأبناء البلاد التي تحاول الطائفيّة إبقاءهم عدداً وعتاداً في حروبها ونزاعاتها التي لا تنتهي"، والانتباه إلى نشوة الضوء في ليل نفق الوطن الممزّق تبني مشروعاً للحبّ منهجه الاختلاف ويفتح له أبواباً مشرعة قوامها المواطنة.

ويتّضح من هذه القراءة أيضاً أنّ "أرق الروح" نصّ يهتمّ برسم ملامح الأنا الذهنيّة الأنا الكاتبة المثقّفة ويسعى إلى كتابة سيرة فكرها ووجدانها، ويشغل بتخييل ذات منشطرة مبعثرة يغلبها الحنين تارة، فتأتي متعالية سامية بما تملك من الثقافة والجمال، ويكسر الواقع أطواراً فتبرز هشّة يغلب عليها التردّد. قادنا هذا السقّر القرائيّ في تخييل الذات إلى تبيّن ما سعى النصّ المدروس إلى إبرازه من صورة الذات العربيّة وما يعرقل خطوها نحو القبض على الأسئلة الحقيقيّة والرهانات الهامّة الجوهرية، وحرصه (النصّ) على كشف تمثّل الذات الذاتيّ للقضايا التي تقضّ مضجعها، وبها أسئلة محوريّة توجّه إلى المتقبّل تستفزّ فضوله، وتشخص بطريقة مؤلّمة محنة الذات المؤلّفة وصراعها من أجل تغيير الواقع.

ومن صورة هذه الذات المشكّلة لغة ينقل كتاب "أرق الروح" ملامح أخرى بارزة ممّا يصطلح عليه عادة بالأدب النسويّ، فهو بنائه الدائري وتنوّع ضمائره محاولة لتجاوز الضياع الذي عاشته المرأة في مغامرة

1 Christine Suard disait: Le champ de l'écriture autobiographique féminine s'est donc développé tout d'abord dans le but de libérer la femme des souffrances et des contraintes sociales dont elle était l'objet... Ceci explique la nécessité chez elles de s'exprimer publiquement et d'étaler leur identité. (voir son livre: Les variantes de l'autobiographie chez Amélie Nothomb, San Jose State University)



نضالها من أجل التحرّر. وهو في انقطاع سرده وتمرّقه أحيانا وكثرة أسئلته الحائرة صورة من حياة المرأة المناضلة في مجتمع مغلق. وهو رغم ذلك أو بسببه، قد نجح في التعبير عن نضج أدبيّ. إذ جاء "سيرة" مركّبة، سردياً وتقنيّاً ونفسيّاً، ناهجا سبيلَ سردٍ غير تقليديّ في بناء السيرة الذاتيّة متلائماً مع رؤية المؤلّفة في تقديم سيرة غير مكتملة تحاور القارئ وتستدرجه إلى جملة من الشواغل المشتركة.

وفي الأخير يبقى "أرق الروح" نواة من الأدب السيريّ أنشأته يمني العيد من تصريف لغة ونظر، فيه مساءلة للذات في تطوافها عبر مدارات الكينونة وسعي إلى ولوج عالمها بحثاً عنها. فهل كانت تروم منه مجابهة فوضى الكون وتداعيات الجسد بممارسة فعل الكتابة الذي مثّل منذ البداية مركز الإبداع والأمل والوعي بالذات والقدرة على تفعيل العالم؟ أم أنها تؤسّس به للممة ما تبعثر من شتات الكينونة وقشع الحيرة التي تساكنها في الصميم؟



## المراجع:

- 1- بنمسعود (رشيد): المرأة والكتابة-سؤال الخصوصية/بلاغة الاختلاف، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1994.
- 2- جينات (جيرار) وآخرون: وجهة النظر من السرد إلى التبئير، ترجمة ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء 1989.
- 3- الصكر (حاتم): مرايا نرسييس: الانماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت 1999.
- 4- الصكر (حاتم): أقنعة السيرة وتجلياتها: البوح والترميز في الكتابة السير- ذاتية، دار أزمنة-عمّان -الأردن-2017.
- 5- الطريطر (جليلة)، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، تونس، مركز النشر الجامعي مؤسسة سعيدان للنشر، 2004.
- 6- عباس (إحسان): من السيرة - دار الثقافة، بيروت، ط2، دون تاريخ.
- 7- العيد (يمنى): السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة، مجلة فصول، العدد الرابع، القاهرة شتاء 1997.
- 8- العيد (يمنى): أرق الروح، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2013.
- 9- فارس (فتحي)، التخييل الذاتي في السرد العربي المعاصر، دار زينب للنشر، تونس، 2020.
- 10- لوجون (فيليب): السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت 1994.
- 11- ماي (جورج): السيرة الذاتية، ترجمة محمد القاضي وعبد الله صولة، قرطاج تونس 1993.
- 12- Barthes R., Le degré zero de l'écriture, Seuil, coll. Points essai, 1972, p.124. Béatrice didier, L'écriture-femme, Paris, puf. 1981.
- 13- Bertrand Michel, langue romanesque et parole scripturale, essai sur Claude Simon, Paris, ed PUF, 1987.
- 14- Colonna Vincent, L'autofiction, essai sur la fictionalisation de soi en littérature, Doctorat de l'E. H.E.S.S., 1989, direction : Gérard Genette/ École des Hautes Études en Sciences Sociales, France.
- 15- Colonna Vincent, Autofiction & autres mythomanies littéraires, Éditions Tristram, 2004.
- 16- Genette Gérard: Fiction et diction. Ed. Du Seuil, Collection 'Poétique', Paris, 1991.
- 17- Hubier Sébastien, Littératures intimes: Les expressions du moi, de l'autobiographie à l'autofiction, Armand Collin, Paris 2003.

- 18-Kaufmann Jean-Claude, L'invention de soi. Une théorie de l'identité Paris, A. Colin, coll. Individu et société, 2004.
- 19-Kripke, Saul Aaron, la logique des noms propres, Paris, éd. Minuit, 1982, p.37.
- 20-Miroux, Jean-Philippe « L'autobiographie, écriture de soi et sincérité », France : Amand Colin, 1996.
- 21-Suard Christine, Les variantes de l'autobiographie chez Amélie Nothomb, San Jose State University.

This article offers a sociological interpretation of the elements involved in the construction of autobiographies by dance artists. More particularly, it questions the role and the place of the body in the construction of self-history which gives an account of a past existence through dance. The irregularities of the latter tend to disappear due to the natural flow of autobiographical writing whereas descriptions of dance experiences, which structured the artist's career, reveal a series of disconnected moments all contributing to the development of the self, all coming together in the history told by the movements of the dancing body.